تصحيح المعتقد ٧

سُرَّاقُ الْعَقِيْدَةِ

الْمُمَزِّقُونَ عُرَىٰ الشَّرِيْعَةِ الْمَجِيْدَةِ

صَنَّفَهُ
أبو عبد الرحمن
عِيد بن أبي السعود الكيال
باحث بالدكتوراه
كلية الشريعة - جامعة الأزهر

الكينانة للأبحاث العلمية الشرعية
٠١٠٠٣٩١٥٢٧٠
٠١١٤٥٨٠٩٤٤٧

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

رقم الإيداع

٢٠١٢/٨٤٤٦م

الناشر

ش ٨- الحدود - الهجانة - م. نصر -
أول طريق السويس الصحراوي - القاهرة
٠١١٤/٥٨٠٩٤٤٧ - ٠١٠٠/٣٩١٥٢٧٠

توطئة

«وما زال التمزيق لعرى الدين العريق»

المُمَزِّقون لشرائع الإسلام المصون

*** المجوزون المحللون لـ:**

الخروج علىٰ الحكام، والمظاهرات، والاعتصامات، والإضرابات، والانتخابات والأحزاب، ولُعْبَة السياسات، ودخول البرلمانات، وتولية المرأة المناصب والرئاسات، والتصوير، والغناء والمعازف والآلات، والتمثيل للمثلين والممثلات، وإجلال المبتدعين والمبتدعات، والعلمانيين والليبراليين والشيوعيين والملحدين والكافرين والكافرات، ولاءً وبراءً وحبًّا وبغضًا وموالاة ومعاداة في غير رب الأرض والسموات.

وآخرون يعظون ويقصُّون، ولمعاني التوحيد وحقيقة الإيمان لا يبيِّنون ولا يؤصلون ولا يحققون ولا يحذرون ولا يوجِّهون.

وآخرون يطعنون في الختان، والنقاب، واللحية، والأذان، المغيِّرون أصل الشِّرْعَة والدين في الجَنَان، القائلون لمن مات علىٰ الكفر: في الفردوس الأعلىٰ مع النبيين في الجنان.

الذين يطعنون في: صحابة نبينا العدنان، وأحاديثه الصحاح الحسان، والمهتدين من أهل الزمان بسلفهم الكرام الأطهار عليهم الرضوان، المطلقون عِقَال الفتن والأحزان والأشجان.

الآمرون بـ: الزواج العُرفي، والإجهاض، والاختلاط، والعري، والفسوق، والفجور، والمجون، والجنون، والفنون، والفحش والخنا والعصيان...،...،...،

وما زال التمزيق مستمرًّا... حتىٰ لا يقال في الأرض: لا إله إلا الله.

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١]

﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨]

القائل وقوله الحق: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

*** موطن الداء والشر:**

روىٰ أبو نعيم في حلية الأولياء (٩٣١٥): عن سفيان الثوري وقد سُئل: أيُّ شيء شر؟ قال:

«اللهم غفرًا، العلماء إذا فسدوا».

كذلك روىٰ في الحلية (٤٠٠٧):

كان ربيعة بن أبي عبد الرحمن يومًا جالسًا، فغطىٰ رأسه، ثم اضطجع فبكىٰ، فقيل له: ما يبكيك؟! قال:

«رياء ظاهر، وشهوة خفية، والناس عند علمائهم كالصبيان في حجور أمهاتهم، ما أمروهم به ائتمروا، وما نهوهم عنه انتهوا».

ولله الأمر من قبل ومن بعد وهو الهادي إلىٰ سواء السبيل.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا علىٰ الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، ﴿ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١]، ﴿ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ١- ٥].

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ: ﴿ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] صلىٰ الله عليه وآله وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعدُ: فقد روىٰ الأمام ابن ماجه في سننه في كتاب الفتن باب: شدة الزمان (٤٠٣٥) من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول:

«لم يَبْقَ من الدنيا إلا بلاءٌ وفتنة».

قال البُوصِيري في الزوائد: «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات» اهـ.

قال السِّنْدِيُّ في شرح الحديث: «قوله: (لم يبق من الدنيا إلا بلاء وفتنة) كما هو شأن آخر الشيء ونهايته عادة» اهـ.

افتتح الإمام أحمد، إمام أهل السنة والجماعة، الصابر المحتسب في محنته، الذي قيَّضه الله ﷻ لصلاح الأمة، فثبته، وبثباته استقام للناس أمر دينهم، وقهر الله به البدعة وأهلها، ونصر به السنة وجماعتها، فخطَّ الإمام بيمينه المباركة كلامًا نفيسًا، دُررًا تُصان في قلوب أهل السنة والجماعة، السلفيين الخُلَّص، تُنير لهم المَقْصِد القويم، والصراط المستقيم بنور السنة، في ظلال وظلام البدع والمبتدعين، صدَّر بهذا الكلام الغالي كتابه (الردّ علىٰ الجهمية والزنادقة) فافتتحه بقوله: «الحمد لله الذي جعل في كُلِّ زَمَانِ فترةٍ من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلىٰ الهدىٰ، ويصبرون منهم علىٰ الأذىٰ، يحيون بكتاب الله الموتىٰ، ويُبَصِّرون بنور الله أهل العمىٰ، فكم من قتيل لإبليس قد أَحْيَوْه، وكم من ضال تائه قد هَدَوْه، فما أحسن أثرهم علىٰ الناس، وأقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدع، وأطلقوا عقال الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجتمعون علىٰ مقارقة الكتاب، يقولون علىٰ الله وفي الله، وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبِّهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن المضلين» اهـ.

لما أهلك العزيزُ الحكيمُ، رأسَ النصرانية والكفر والشرك، الذي كان يكيد للإسلام وأهله طوال عمره، ويمكر بالمال والسلاح ليصد عن سبيل الله، ويؤلِّب العالم علىٰ محو التوحيد، حيث قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: ٣٥ - ٣٦].

هذا الطاغية الذي يصدق عليه قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصص: ٤١ - ٤٢]، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

فلما هلك، خرج القوم عن بَكْرَةِ أبيهم علىٰ القنوات المختلفة؛ أي: أمام العالم، بداخل البلاد وخارجها، وهم عاقدون ألوية البدع، ممزقون عقال الفتن، مخالفون للكتاب، مجمعون علىٰ مفارقة الكتاب، يخدعون جهال الناس بما يشبِّهون عليهم في أمور دينهم، خرجوا لينقضوا أصل الملة، وعرىٰ التوحيد، وعقيدة الولاء والبراء، معلنون بإسلام من كفَّره الله ورسوله والمؤمنون!!! وهم يعلمون حاله وتاريخه، لا يخفىٰ عليهم منه شيء!! ليس هذا فحسب، بل اعتبروا موته فجيعة ابتُلِيَتْ بها أمة التوحيد!! ودعوا له بالمغفرة، وأن يحشره الله مع النبيِّين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا!!!

حتىٰ جزم كثير من العوام السُّذَّجِ أن الرجل في الجنة!!! ويالها من طامَّة كبرىٰ، وفجيعة عظيمة في الدين.

خرج القوم وهم مظهرون الحزن والأسىٰ، يقفون حدادًا، ولاء وبراء، محبة وموالاة، داعون إلىٰ أمرهم بالقول والعمل، هادمون لمعالم التوحيد، ورسمه، وحدوده، بمعاول النفاق الأعظم، والمداهنة الكبرىٰ، بهم يذهب القرآن والعلم، ويُمحىٰ الإسلام ويَدْرُسُ.

روىٰ ابن ماجه في سننه في كتاب الفتن، باب: ذهاب القرآن والعلم من حديث حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ (٤٠٤٩):

«يَدْرُسُ الإسلام كما يدرس وَشْيُ الثوب، حتىٰ لا يُدْرىٰ ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، ولَيُسْرَىٰ علىٰ كتاب الله ﷻ في ليلة، فلا يبقىٰ في الأرض منه آية».

قال البوصيري في الزوائد: «هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات» ورواه الحاكم في المستدرك (٨٦٣٦)، وقال: «هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي في التلخيص.

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى

ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال: ٧٣].

قال الإمام ابن كثير في تفسيره (٤/ ٦٣):

«لما ذكر الله أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض، قطع الموالاة بينهم وبين الكفار، ومعنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ أي: إنْ لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين، وإلا وقعت الفتنة في الناس، وهو التباس الأمر، واختلاط المؤمن بالكافر، فيقع بين الناس فساد منتشر طويل عريض» اهـ.

وقال العلامة السعدي في تفسيره (ص: ٣٢٧):

«لما عقد الولاية بين المؤمنين، أخبر أن الكفار حيث جمعهم الكفر فبعضهم أولياء لبعض، فلا يواليهم إلا كافر مثلهم.

وقوله: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ أي: موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين، بأن واليتموهم كلهم أو عاديتموهم كلهم، أوْ وَاليتم الكافرين وعاديتم المؤمنين ﴿تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ فإنه يحصل بذلك من الشر ما لا ينحصر: من اختلاط الحق بالباطل، والمؤمن بالكافر، وعدم كثير من العبادات الكبار، كالجهاد والهجرة، وغير ذلك من مقاصد الشرع والدين التي تَفُوتُ إذا لم يُتَّخَذ المؤمنون وحدهم أولياء بعضهم لبعض» اهـ.

فلما كان ذلك كذلك، وصار ما لا يسع المسلم جهله من أمور الدين، متلبِّسًا علىٰ الناس، مختلطًا أمره، قد كُذِّب ودُلِّس عليهم فيه، كان لزامًا علينا التوضيح والتفصيل والتصريح البواح الصُّراح الذي لا يحتمل أدنىٰ شبهة، الخالص مما يشوبه ويُعَكِّر صفوه.

ومن ثَمَّ كتبت رسالتي هذه إلىٰ كل موحِّد يخشىٰ علىٰ دينه أن يُسلب منه، وعقيدته أن تُسرق وتُسحب عروة فعروة، مبيِّنًا فيها عقيدة أهل السنة والجماعة، ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم في هذا الأمر.

*** خطة البحث :**

ولقد أقمت بحثي هذا علىٰ أربعة بيانات وخاتمة.

البيان الأول: نقض العهود والمواثيق خيانة لله ولرسوله وللمسلمين.

وتحته خمس قواعد أصولية ملخصة للبيان.

البيان الثاني: تبيين المبيَّن، وتفسير المُفسَّر، وإظهار الظاهر، وتوضيح الواضح:

أن النصارىٰ كفار مخلدون في النار أبدًا إذا لم يسلموا.

وتحته ثلاث قواعد أصولية.

البيان الثالث: تحريف الكلم عن مواضعه؛ وُجوهه ومعناه.

وتحته خمس قواعد أصولية.

البيان الرابع: الولاء والبراء أوثق عرىٰ الإيمان.

وتحته خمس قواعد.

خاتمة البحث: وتشتمل علىٰ جملة القواعد الأصولية، التي هي خلاصة هذا البحث.

هذا.. وبالله التوفيق والسداد والعصمة، وإليه المرجع والمآب، وهو الهادي إلىٰ سواء الصراط، ولا حول ولا قوة إلا بالعزيز الوهاب.

***

البيان الأول

نقض العهود والمواثيق

خيانة لله ولرسوله وللمسلمين

*** معنى العهد والميثاق في اللغة والشرع:**

يقول أبو الحسين أحمد بن فارس في مقاييس اللغة (٤/ ١٦٧ - ١٦٩):

«(عهد) العين والهاء والدال أصل هذا الباب عندنا دالٌّ علىٰ معنىٰ واحد، قد أومأ إليه الخليل، قال: أصله الاحتفاظ بالشيء، وإحداث العهد به.

والذي ذكره من الاحتفاظ هو المعنىٰ الذي ترجع إليه فروع الباب.

فمن ذلك قولهم: عَهِدَ الرجل يَعْهَدُ عَهْدًا، وهو من الوصية، وإنَّما سُمِّيت بذلك؛ لأن العهد مما ينبغي الاحتفاظ به، ومنه اشتقاق العهد الذي يُكتب للولاة من الوصية، وجمعه عهود.

والعهد: المَوْثِق، ومن الباب العَهْدُ الذي معناه الالتقاء والإلمام، يقال: هو قريبُ العهد به، وذلك أن إلمامَهُ به احتفاظ به وإقبال.... وفي كتاب الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾ [يس: ٦٠] ومعناه -والله أعلم-: ألم أُقدِّم إليكم من الأمر الذي أوجبت عليكم الاحتفاظ به» اهـ.

وقال أيضًا (٦/ ٨٥):

«(وثق) الواو والثاء والقاف، كلمة تدل علىٰ عقد وإحكام، ووثَّقْت الشيء: أحكمته، وناقة موثَّقة الخَلْف، والميثاق: العَهْدُ المُحْكَم، وهو ثقة، وقد وَثَقْتُ به» اهـ.

وقال الفيومي في المصباح المنير (ص: ٢٣١):

«والعهد: الأمان والمَوْثِقُ والذمة» اهـ.

وقال في مختار الصحَّاح: (ص: ٤٦٠):

«العهد: الأمان واليمين والمَوْثِق والذمة والحفاظ والوصية، تقول: عليَّ عهد الله لأفعلن كذا، والمعهود الذي عُهِدَ وعُرِف، والتعهُّد: التَّحَفُّظُ بالشيء وتجديد العهد به» اهـ.

وقال أيضًا (ص: ٧٠٨):

«والميثاق: العهد، والجمع المواثيق، والمياثق، والمياثيق، والموْثِقُ: الميثاق، والمواثقة المعاهدة، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾ [المائدة: ٧] » اهـ.

وقال الراغب الأصفهاني في (المفردات في غريب القرآن) (ص: ٣٥٠):

«العهد: حفظ الشيء ومراعاته حالًا بعد حال، وسُمِّي المَوْثِقُ الذي يلزم مُراعاته عهدًا، قال: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤] أي: أوفوا بحفظ الإيمان، قال: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤] أي: لا أجعل عهدي لمن كان ظالمًا، قال: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١] وعَهَدَ فلانٌ إلىٰ فلانٍ يَعْهَدُ، أي: ألقىٰ إليه العهد وأوصاه بحفظه، قال: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾ [طه: ١١٥]، ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾ [يس: ٦٠]، ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ﴾ [آل عمران: ١٨٣]، ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ [البقرة: ١٢٥]، وعهد الله تارة يكون بما رَكَزَهُ في عقولنا، وتارة يكون بما أمرنا به بالكتاب وبالسنة رُسُلُهُ، وتارة بما نلتزمه وليس بلازم في أصل الشرع، كالنذور وما يجري مجراها وعلىٰ هذا قوله: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ٧٥]، ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ [البقرة: ١٠٠]، ﴿وَلَقَدْ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ﴾ [الأحزاب: ١٥]» اهـ.

*** الميثاق العام الذي أخذه الله من بني آدم:**

قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [يس: ٦٠ - ٦١]، وهو العهد والميثاق

العام بتحقيق العبودية، بالتزام الأمر واجتناب النهي، والوقوف عند حدود الله.

وعلىٰ ضوء هذه المعاني يُفهم قول الله تعالىٰ: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠]، وهذا العهد هو الميثاقُ المعنيُّ في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [المائدة: ٧]، وهذه هي العبادة التي خُلقنا لها، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

*** العهد والميثاق الذي أوثقنا وقيدنا الله به، وأحكم به تصرفاتنا:**

ومن هنا، لعن الله من نقض ميثاقه، فقال تعالىٰ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥]، ووصفهم الله تعالىٰ بالخاسرين فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٧].

هذا بالنسبة للميثاق العام علىٰ كل الناس.

*** الميثاق الخاص بعلماء الأمة:**

وهناك الميثاق الذي أخذه الله من أهل العلم بالتبيين، حيث قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧]. وهذا ميثاق خاص بعلماء الأمة، وهو من أعظم المواثيق التي أوثقهم الله وأحكمهم وقيدهم بها وجعلها ربقة في أعناقهم، لأن العلماء ورثة الأنبياء، وبهم يُبَلَّغ الدينُ، وتعرف عرىٰ الإسلام، ويُعلم الحلال والحرام، ويظهر سبيل الجنة من سُبل النار والضلال، ومن هنا أمر الله بأداء الأمانة فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ

سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨]، وقال: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٢ - ٧٣]، والأمانة هنا: هي التكليف العام، ويدخل تحت عموم الآية جنس الأمانة عامة.

ووصف من نقض العهد والميثاق بالخائن فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

وقال ﷻ: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: ١٣]، وقال: ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء: ١٠٧]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨]، وقال: ﴿وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧١].

*** العهد والميثاق هو العقد المعقود بين الله وخلقه بتحقيق العبودية والتوحيد:**

ولقد جاء الأمر بالوفاء بالعهود والمواثيق بلفظة العقود، حيث قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ﴾ [المائدة: ١].

قال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٤):

«وقال ابن أبي حاتم: حدثنا... قال أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: هذا كتاب رسول الله ﷺ عندنا، الذي كتبه لعمرو بن حزم حين بعثه إلىٰ اليمن يُفَقِّه أهلها ويعلمهم السنة، ويأخذ صدقاتهم، فكتب له كتابًا وعهدًا، وأمره فيه بأمره، فكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من الله ورسوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ﴾ عَهْدٌ من محمد رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم، حين بعثه إلىٰ اليمن، أمره بتقوىٰ الله في أمره كله، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم

محسنون»[1]، قوله تعالىٰ: ﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: يعني: العهود.

وحكىٰ ابن جرير الإجماع علىٰ ذلك.

عن ابن عباس: يعني العهود: يعني ما أحل الله وما حرم، وما فرض وما حدَّ في القرآن كله فلا تغدروا ولا تنكثوا، ثم شدد في ذلك فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

وقال الضحاك: ﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ قال: ما أحل الله وما أخذ من الميثاق علىٰ من أقر بالإيمان بالنبي ﷺ، والكتاب؛ أن يوفوا بما أخذ الله عليهم من الفرائض من الحلال والحرام» اهـ.

ومن هنا، كان نقض المواثيق والعهود مع الله سببًا لهلاك الأمم.

فقد روىٰ أبو نعيم في حلية الأولياء عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه قال (١١٣٥٧): «إنما تَهْلِكُ هذه الأمة مِنْ قِبَلِ نقض مواثيقها».

وعليه، فقد أخذ الله الميثاق الخاص علىٰ أهل العلم بعدم الكتمان، ووجوب التبيين عند الحاجة إليه، فمن كتم فقد نقض العهد والميثاق، ومن نقض العهد والميثاق فقد خان الأمانة، ومن خان الأمانة، فقد غش الله ورسوله والمسلمين والناس أجمعين، ونَقَضَ العقد المعقود بينه وبين الله وأخلَّ به.

قال الإمام أبو محمد الحسن بن علي البربهاري الحنبلي إمام أهل السنة والجماعة في عصره، وذلك في كتابه الذي دوَّن فيه عقيدة أهل السنة والجماعة: (شرح السنة) (فقرة: ٨٠):

«ولا يحل أن تكتم النصيحة للمسلمين -برهم وفاجرهم- في أمر الدين، فمن كتم؛ فقد غش المسلمين، ومن غش المسلمين؛ فقد غش الدين، ومن غش

---

(١) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٣٧٥).

الدين؛ فقد خان الله ورسوله والمؤمنين» اهـ.

*** لا يجوز لأهل العلم أن يؤخروا البيان عن وقت الحاجة؛ حتى لا تُنقض عرى الشريعة:**

روىٰ الإمام أحمد في مسنده (١٠٤٣٥)، وابن ماجه في المقدمة من سننه (٢٦٥)، والطبراني في الكبير (١٠٨٤٥)، والحاكم في المستدرك (٣٤٦) وقال: «هذا إسناد صحيح علىٰ شرط الشيخين، وليس له علّة»، وقال الذهبي في التلخيص: «علىٰ شرطهما ولا علة له»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٤٠١) (ح: ٧٤٣): «رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله موثقون»، ورواه ابن حبان في صحيحه (٩٥/ إحسان)، وأبو داود في سننه (٣٦٥٨)، والترمذي في سننه (٢٦٤٩) وقال: «حديث حسن» وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (١٩٩) وأقر تصحيح الحاكم له، وذكره السيوطي في الجامع الصغير (٨٩٨٨)، وقال المناوي في فيض القدير (٦/ ٢٨٢): «قال الزركشي: وهذا إسناد صحيح ليس فيه مجروح، وظن ابن الجوزي أن ابن وهب هو النشوي الذي قال فيه ابن حبان دجال، وليس كذلك. اهـ، وقال الذهبي: سنده قوي» عن عبد الله بن عمرو، وأبي هريرة، وابن مسعود، وابن عباس، عن النبي ﷺ قال:

«**من كتم علمًا مما ينفع الله به الناس في أمر الدين ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار**». ومن ثَمَّ فلا يجوز السكوت ألبتة علىٰ تغيير أصل من أصول الإسلام وتشويهه، بل هذه كبيرة عظيمة؛ قرن النبي ﷺ مع ذكرها العقوبة، وهذا ضابط من ضوابط الكبيرة.

قال المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير (٦/ ٢٨٢):

«والحديث نصٌّ في تحريم الكَتْم» اهـ.

قلت: فما بالك بالتحريف والتدليس والتكذيب؟!

وروىٰ البخاري في صحيحه (٥٧) عن جرير بن عبد الله قال:

«بايعت رسول الله ﷺ علىٰ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والسمع والطاعة، والنُّصح لكل مسلم».

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (/ ١٧٩ - ١٨٠) شارحًا تبويب البخاري: (باب قول النبي ﷺ: الدين النصيحة لله ولرسوله): وهو مروي عند مسلم في صحيحه (٥٥) بلفظ: «**الدين النصيحة**» قلنا: لمن؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**». حيث روىٰ البخاري الحديث تحت هذا التبويب قال الحافظ: «قوله: «**الدين النصيحة**» يحتمل أن يحمل علىٰ المبالغة، أي: معظم الدين النصيحة، كما قيل في حديث: «**الحج عرفة**»[1] ويحتمل أن يحمل علىٰ ظاهره؛ لأن كل عمل لم يرد به عامله الإخلاص فليس من الدين.

وقال المازري: النصيحة مشتقة من نصحت العسل إذا صفَّيْتُهُ، يقال: نصح الشيء إذا خلص، ونصح له القول إذا أخلصه له، أو مشتقة من النُّصح، وهي الخياطة بالمنصحة، وهي الإبرة، والمعنىٰ: أنه يلم شعث أخيه بالنصح، كما تلم المنصحة، ومنه التوبة النصوح، كأن الذنب يمزّق الدين، والتوبة تخيِّطه.

قال الخطابي: النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له، وهي من وجيز الكلام، بل ليس في الكلام كلمة مفردة تستوفىٰ بها العبارة عن معنىٰ هذه الكلمة.

وهذا الحديث من الأحاديث التي قيل فيها إنها أحد أرباع الدين، وممَّن عدَّه فيها الإمام محمد بن أسلم الطوسي.

وقال النووي: بل هو وحده مُحَصِّلٌ لغرض الدين كله؛ لأنه منحصر في الأمور التي ذكرها، فالنصيحة لله، وصفه بما هو له أهل، والخضوع له ظاهرًا وباطنًا، والرغبة في محابِّه بفعل طاعته، والرهبة من مساخطه بترك معصيته،

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٨٦٧٨)، والترمذي في سننه (٢٩٧٥)، وقال: (حسن صحيح)، والنسائي (٣٠١٦).

والجهاد في ردِّ العاصين إليه» اهـ.

*** قول المفسرين في معنى آية الميثاق الخاص بالعلماء: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ قال ابن كثير في تفسيره: (٢/ ١١٦):**

«﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧]: هذا توبيخ من الله وتهديد لأهل الكتاب، الذين أخذ عليهم العهد علىٰ ألسنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد ﷺ، وأن ينوِّهوا بذكره في الناس ليكونوا علىٰ أُهْبَةٍ من أمره، فإذا أرسله الله تابعوه، فكتموا ذلك، وتعوَّضوا عمَّا وعدوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة بالدون الطفيف، والحظ الدنيوي السخيف، فبئست الصفقة صفقتهم، وبئست البيعة بيعتهم.

وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم، فيصيبهم ما أصابهم، ويُسْلَكُ بهم مَسْلكهم، فعلىٰ العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع، الدال علىٰ العمل الصالح، ولا يكتموا منه شيئًا، فقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي ﷺ أنه قال:

«**من سُئل عن علم فكتمه أُلْجِمَ يوم القيامة بلجام من نار**».» اهـ.

وروىٰ الطبري في تفسيره عن قتادة أنه قال في هذه الآية (٨٢١٧):

«هذا ميثاق أخذه الله علىٰ أهل العلم، فمن علم شيئًا فليعلِّمْه، وإياكم وكتمان العلم، فإن كتمان العلم هلكة، ولا يتكلَّفن رجل ما لا علم له به، فيخرج من دين الله فيكون من المتكلفين» اهـ.

وقال القرطبي في تفسيره (٤/ ٢٣٣):

«هذا متصل بذكر اليهود؛ فإنهم أُمروا بالإيمان بمحمد عليه السلام وبيان أمره، فكتموا نعته. فالآية توبيخ لهم، ثم مع ذلك هو خبر عام لهم ولغيرهم.

قال الحسن وقتادة: هي في كل من أوتي علمَ شيء من الكتاب، فمن علم

شيئًا فليُعلِّمه، وإيَّاكم وكتمان العلم فإنه هلكة.

وقال محمد بن كعب: لا يحل لعالم أن يسكت علىٰ علمه، ولا للجاهل أن يسكت علىٰ جهله؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الآية، وقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

وقال أبو هريرة: «لولا ما أخذ الله علىٰ أهل الكتاب ما حدثتكم بشيء»، ثم تلا هذه الآية.

وعن علي بن أبي طالب قال: «ما أخذ الله علىٰ الجاهلين أن يتعملوا، حتىٰ أخذ علىٰ العلماء أن يُعلِّموا».» اهـ.

كذلك، قال العلامة السعدي في تفسيره (ص: ١٦٠):

«الميثاق: هو العهد الثقيل المؤكد، وهذا الميثاق أخذه الله تعالىٰ علىٰ كل من أعطاه الله الكتب وعلمه العلم، أن يبين للناس ما يحتاجون إليه مما علَّمه الله، ولا يكتمهم ذلك، ويبخل عليهم به، خصوصًا إذا سألوه، أو وقع ما يوجب ذلك، فإن كل من عنده علم يجب عليه في تلك الحال أن يبيِّنه، ويوضح الحق من الباطل.

فأما الموفَّقون، فقاموا بهذا أتمَّ القيام، وعلَّموا الناس مما علمهم الله ابتغاء مرضاة ربهم، وشفقة علىٰ الخلق وخوفًا من إثم الكتمان.

وأما الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارىٰ ومن شابههم، فنبذوا هذه العهود والمواثيق وراء ظهروهم، فلم يعبأوا بها، فكتموا الحق، وأظهروا الباطل، تجرؤًا علىٰ محارم الله، وتهاونًا بحقوق الله، وحقوق الخلق، واشتروا بذلك الكتمان ثمنًا قليلًا، وهو ما يحصل لهم -إن حصل- من بعض الرياسات، والأمور الحقيرة، من سفلتهم المتبعين أهواءهم، المقدمين شهواتهم علىٰ الحق، ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾؛ لأنه أخس العوض، والذي رغبوا عنه - وهو بيان الحق، الذي فيه السعادة الأبدية، والمصلحة الدينية والدنيوية- أعظم المطالب وأجلها، فَلَمْ يختاروا الدنيء الخسيس ويتركوا الغالي النفيس، إلا لسوء حظهم وهوانهم،

وكونهم لا يصلحون لغير ما خلقوا له» اهـ.

*** التقعيد الأصولي العقدي الجامع لما قيل في هذا البيان:**

فعلىٰ ضوء ونور ما تقدم من الأدلة الشرعية وكلام أهل العلم، قعَّدت بعض القواعد، بمثابة الخلاصة لما قيل:

(١) القاعدة الأولى (قاعدة الميثاق العام):

«العهد والميثاق الذي أخذه الله علىٰ عباده: الالتزام بالسمع والطاعة، الذي هو امتثال الأمر، واجتناب النهي، والوقوف عند حدود الله، الأمانة التي حملها الإنسان».

(٢) القاعدة الثانية: (الواجب الأم):

«الوفاء بالعهود والمواثيق مع الله تعالىٰ واجب علىٰ العباد وجوبًا عينيًّا علىٰ كل أحد».

(٣) القاعدة الثالثة: (خيانة الأمانة):

«نقض العهود والمواثيق خيانة لله وللرسول، وهو حرام بالكتاب والسنة والإجماع».

(٤) القاعدة الرابعة: (سبب الهلاك):

«إنما تَهْلِكُ هذه الأمة من قِبَل نقض مواثيقها».

(٥) القاعدة الخامسة: (الميثاق الخاص بالعلماء):

«من كتم علمًا مما ينفع الله به الناس من أمر الدين، فقد نقض عهده وميثاقه، وخان الله ورسوله والمؤمنين؛ فإنَّه لا يجوز تأخير الإيضاح والبيان عن وقت الحاجة؛ فإن السكوت علىٰ تغيير شرائع الدين، نسخ ومسخ لشريعة رب العالمين».

«البيان الثاني»

تبيين المبيَّن، وتفسير المفسَّر، وتفصيل المفصَّل، وإظهار الظاهر، وتوضيح الواضح

«أنَّ النصارى كفار مخلدون في النار أبدًا إذا لم يُسْلِمُوا»

روىٰ ابن ماجه في كتاب الفتن من سننه، باب: التثبت في الفتنة، عن عبد الله ابن عمرو، أن رسول الله ﷺ قال: (٣٩٥٧):

«**كيف بكم وبزمان يوشك أن يأتي يغربل الناس فيه غربلة، وتبقىٰ حثالة من الناس، قد مَرِجَتْ عهودُهم وأماناتهم، فاختلفوا وكانوا هكذا؟**» -وشبك بين أصابعه- قالوا: كيف بنا يا رسول الله! إذا كان ذلك؟ قال: «**تأخذون بما تعرفون وتدعون ما تنكرون، وتقبلون علىٰ خاصتكم، وتذرون أمْر عامتكم**».

والحديث رواه أبو داود في سننه في كتاب الفتن والملاحم، باب الأمر والنهي (٤٣٣٤).

قال السِّنْدِيُّ في شرح سنن ابن ماجه (٤/ ٣٣٣):

«قوله: (يغربل الناس فيه) علىٰ بناء المفعول، أي: يذهب خيارهم ويبقىٰ شرارهم وأراذلهم، (حُثَالة) بضم الحاء المهملة والثاء المثلثة: الرديء من كل شيء، والمراد أراذلهم، (قد مَرِجَتْ) بكسر الراء علىٰ بناء الفاعل، أي: اختلفت وفسدت، (علىٰ خاصتكم) أي: علىٰ من يختص بكم من الأهل والخدم، أو علىٰ إصلاح الأحوال المختصة بأنفسكم» اهـ.

قلت: فكيف بكم وبزمان يحتاج فيه الناس -وقت الظهيرة في وضح النهار، والشمس ناصعة نقية، ليس بينها وبين الناس غيْمٌ و لا سحاب، ولا حجب- يحتاجون إلىٰ مناد ينادي: أيها الناس، هذه الشمس والله، أقسم بالله أن هذه الشمس،...

في زمان يحتاج المرء فيه أن يبرهن ويستدل ويناقش ويجادل ويقيم الحجة في إظهار المحجة، بأن: الواحد إذا جُمع إليه واحد آخر، أصبح المجموع: اثنين! إذ المعروف المشهور عند الناس أن: (١ (زائد) ١ = ٧٩.٥).

*** تبيين المبيَّن وتوضيح الواضح:**

فها أنا ذا أُفسِّر وأُظهر الظاهر، وأُفصِّل المُفَصَّل، وإلىٰ الله المشتكىٰ!.

(١) الدليل من الكتاب:

قال الله تعالىٰ في محكم آياته:

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [المائدة: ١٤ - ١٧].

وقال ﷻ: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ

صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [المائدة: ٧٢ - ٧٦].

وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصف: ٦ - ٩].

وقال الله: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴾ [مريم: ٨٨ - ٩٥].

وقال: ﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف: ٤ - ٥].

وقال: ﴿ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴾ [يونس: ٦٨ - ٧٠].

وقال الواحد الأحد: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ ۚ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا

﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٧١ - ١٧٣].

وقال رب العالمين: ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩٠ - ٩٢].

وقال: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٩ - ٦٠].

وقال: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٧].

وقال الله ﷻ: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٩].

وقال تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ﴾، ثم قال: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ ۚ أَنِ

ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة: ١١٠، ١١٦ - ١١٧].

وقال تعالىٰ: ﴿ لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ١ رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ﴾ [البينة: ١-٢].

وقال سبحانه: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ ٩٨ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٩٩ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ١٠٠ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [آل عمران: ٩٨ - ١٠١].

وقال تعالىٰ: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾ [الإخلاص: ١-٤].

هذه بعض الآيات التي تبين كفر النصارىٰ، وهي غيض من فيض، وقليل من كثير.

قال تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾ [فصلت: ٤١ - ٤٢].

وقال: ﴿ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود: ١].

وقال تعالىٰ عن نفسه: ﴿ قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٥].

وقال: ﴿ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴾ [النساء: ٨٧]، ﴿ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴾ [النساء: ١٢٢].

(٢) الدليل من السنة:

وقال الصادق المصدوق ﷺ:

فيما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة (١٥٣):

«**والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**».

وروىٰ مسلم أيضًا في صحيحه من حديث أبي هريرة أيضًا أن النبي ﷺ أمر بلالًا فنادىٰ في الناس: «**إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة**».

قال النووي في شرح مسلم (٢/ ١٤٣):

«وقوله ﷺ: «**لا يسمع بي أحد من هذه الأمة**» أي: ممن هو موجود في زمني وبعدي إلىٰ يوم القيامة، فكلهم يجب عليه الدخول في طاعته، وإنَّما ذكر اليهودي والنصراني؛ تنبيهًا علىٰ من سواهما؛ وذلك لأن اليهود والنصارىٰ لهم كتاب، فإذا كان هذا شأنهم مع أنَّ لهم كتابًا، فغيرهم ممن لا كتاب له أوْلىٰ» اهـ.

(٣) الدليل من الإجماع:

ذِكر بعض الإجماعات في كفر النصارىٰ:

قال الإمام أبو محمد بن حزم في (مراتب الإجماع) (ص: ٢٦٧):

«وأنَّ دين الإسلام هو الدين الذي لا دين لله في الأرض سواه، وأنه ناسخ لجميع الأديان قبله، وأنه لا ينسخه دين بعده أبدًا، وأن مَنْ خالفه ممن بلغه، كافر مخلد في النار أبدًا» اهـ.

قال تعالىٰ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوىٰ (٢٥/ ٣٢٣):

«وقول القائل: المعبود واحد وإن كانت الطرق مختلفة ونحو ذلك من الأقوال والأفعال التي تتضمن، إما كون الشريعة النصرانية أو اليهودية المُبدَّلين المنسوخين موصلة إلىٰ الله، وإما استحسان بعض ما فيها مما يخالف دين الله، أو

التدين بذلك، أو غير ذلك، مما هو كفر بالله ورسوله وبالقرآن وبالإسلام، بلا خلاف بين الأمة[١]، وأصل ذلك المشابهة والمشاركة.

وبهذا يتبيَّن لك كمال موقع الشريعة الحنيفية، وبعض حكم ما شرع الله لرسوله من مباينة الكفار، ومخالفتهم في عامة الأمور؛ لتكون المخالفة أحسم لمادة الشر، وأبعد عن الوقوع فيما وقع فيه الناس» اهـ.

قلت: بل قال شيخ الإسلام في مواضع من المجموع: (٣٥/ ٢٠١)، (٢/ ٤٨١) ما يُبيِّن كفرَهم، وكفرَ من لم يكفرهم ويبغضهم:

قال: «فإن اليهود والنصارىٰ كفار، كفرًا معلومًا بالاضطرار من دين الإسلام».

وقال: «فالنصارىٰ الذين كفَّرهم الله ورسوله، واتفق المسلمون علىٰ كفرهم بالله ورسوله».

وقال: «ومن لم يقر أنَّ بعد مبعث محمد ﷺ لن يكون مسلم إلا من آمن به، واتَّبعه باطنًا وظاهرًا، فليس بمسلم، ومن لم يُحرِّم التديُّن بعد مبعثه ﷺ بدين اليهود والنَّصارىٰ، بل من لم يكفرهم ويبغضهم فليس بمسلم باتفاق المسلمين» اهـ.

كذلك نقل الإجماع القاضي عياض في (الشفا) حيث قال: «وقام الإجماع علىٰ كفر من لم يكفر أحدًا من اليهود والنصارىٰ، وكل من فارق دين الإسلام، أو وقف في تكفيرهم أو شك» اهـ. فمجرد الشك في كفرهم، كفرٌ إجماعًا.

*** قول بعض الناس: «لعلَّه أسلم قبل أن يموت»!! والردُّ عليه:**

كثير من العوام يقول هذه المقولة علىٰ النصراني، فيشتبه عليه الأمر، وأقل ضرر هذا الأمر أنه يتوقف في أمره، فلا يجزم له بالنار.

---

(١) موسوعة الإجماع لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص: ٥٠٣) مكتبة المورد.

وهذه شبهة داحضة، وإن شئت فقل: هي ليست بشبهة أصلًا، وذلك علىٰ التفصيل الآتي ذكره:

هذا قول مخالف للكتاب والسنة والإجماع.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ﴾ [يونس: ٣٦].

ووجه الدلالة من الآية: أن هذا الزعم ظنٌّ لا مستند له، واليقين والظاهر في حاله أنه مات علىٰ ما هو عليه، ولو صح هذا لجاز لنا أن نقول علىٰ المسلم بعد موته: لعله ارتد وأشرك، وهذا لا يقوله أحد، حتىٰ من قال بهذا الزعم الفاسد، لأنه لا يقبل عقلًا، فإن الظن ضعيف، ولا يقوىٰ علىٰ رد حقيقة مؤصلة ومستمرة طول عُمر هذا الذي مات، وهي كونه نصرانيًّا يقينًا، اسمًا ورسمًا، معتقدًا وعملًا.

روىٰ البخاري في صحيحه (١٣٧)، ومسلم (٣٦١) أنه شُكي إلىٰ النبي ﷺ الرجل يُخيَّل إليه أنه يجد الشيء في الصلاة، قال:

«**لا ينصرف حتىٰ يسمع صوتًا أو يجد ريحًا**» وهو عند البخاري تحت باب: (من لا يتوضأ من الشك حتىٰ يستيقن) وعند مسلم تحت باب (الدليل علىٰ أن من تيقن الطهارة ثم شك في الحدث فله أن يصلي بطهارته تلك)، وفي رواية لمسلم (٣٦٢): «**إذا وجد أحدكم في بطنه شيئًا فأشكل عليه أَخَرَجَ منه شيءٌ أم لا، فلا يخرجنَّ...**» الحديث.

قال النووي في شرح مسلم (٤/ ٣٩) عند الحديث:

«وهذا الحديث أصل من أصول الإسلام، وقاعدة عظيمة من قواعد الفقه، وهي: أن الأشياء يحكم ببقائها حتىٰ يتيقن خلاف ذلك، ولا يضر الشك الطارئ عليها، هذا مذهبنا ومذهب جماهير العلماء من السلف والخلف.

ومن مسائل القاعدة المذكورة: أن من شك في طلاق زوجته، أو عتق عبده، أو نجاسة الماء الطاهر، أو طهارة النجس، أو نجاسة الثوب أو الطعام أو غيره، أو أنه صلىٰ ثلاث ركعات أو أربعًا، أو أنه ركع وسجد أم لا، أو أنه نوىٰ الصوم

والصلاة أو الوضوء أو الاعتكاف، وهو في أثناء هذه العبادات، وما أشبه هذه الأمثلة، فكل هذه الشكوك لا تأثير لها، والأصل عدم هذا الحادث» اهـ.

قلت: ومسألتنا تدخل تحت هذا يقينًا، لوجود العلة في المسألة وهي الظن والشك.

ومثله ما رواه مسلم (٥٧١) عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ:

«**إذا شك أحدكم في صلاته فلم يدر كم صلىٰ؟ ثلاثًا أم أربعًا؟ فليطرح الشك ولْيَبْنِ علىٰ ما استيقن، ثم يسجد سجدتين قبل أن يسلم...**».

فنص ﷺ علىٰ وجوب طرح الشك؛ لأن الأمر للوجوب؛ لذلك قعَّد الفقهاء علىٰ هذه الأدلة قاعدة هي القاعدة الثانية من القواعد الفقهية الكلية الكبرىٰ، وأجمعوا عليها كما ذكر النووي آنفًا، ونص القاعدة هي:

«اليقين لا يزول بالشك» وفرَّعوا منها قواعد، منها:

«الأصل بقاء ما كان علىٰ ما كان» أي: بقاء ما كان من الكفر علىٰ ما كان، فلا يقال: لعله أسلم، والأصل بقاء الزواج، والإسلام، والدَّين وشغل الذمة به، حتىٰ يَرِدَ دليلٌ يقينيٌّ يقوىٰ علىٰ معارضة اليقين الأول، وهكذا.

ومنها قاعدة: «ما ثبت بزمان يُحكم ببقائه ما لم يوجد دليل علىٰ خلافه».

ولا دليل ألبتة علىٰ إسلام النصراني الذي مات علىٰ دينه، فكيف يُردُّ اليقين القويُّ بالظن الواهي الضعيف؟!. وانظر الأشباه والنظائر للسيوطي (١/ ١٥١).

*** التقعيد الأصولي العقدي المُلَخِّص لما قيل في هذا البيان:**

(١) القاعدة الأولىٰ:

«**النصارىٰ كفَّارٌ، مخلَّدون في النار أبدًا، إذا ماتوا علىٰ كفرهم، وهو ممَّا عُلِمَ من الدين بالضرورة، بدليل الكتاب و السنة وإجماع السلف والخلف، لا خلاف في ذلك ألبتة**».

(٢) القاعدة الثانية:

«من لم يُكفِّر من كفَّره الله ورسولُه من اليهود والنصارىٰ وغيرهم، فهو كافر، ومن شك في كفره فهو كافر، ومن توقَّف في كفره فهو كافر، وذلك بالكتاب والسنة والإجماع سلفًا وخلفًا».

(٣) القاعدة الثالثة:

«الأصل بقاء ما كان من كفر الكافر، مثل النصراني واليهودي علىٰ ما كان، فلا يُقال: لَعَلَّهُ أسلم قبل موته، فهذا مردود بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين، إذ اليقين لا يزول بالشك والظن، وكفرُهُ يقين، واحتمال إسلامه ظن ضعيف لا أصله له».

قلت: والعجيب من حال القوم: أنهم كانوا يجتهدون كل الاجتهاد في إثبات كفر حكام المسلمين، وهم الآن يجتهدون كل جهدهم ليثبتوا الإسلام لمن كفره الله ورسوله، أما تكفير الحكام، فحتىٰ يتهيَّأ لهم ويُبرَّر خروجهم عليهم، ويصبغ بصبغة شرعية، وأما فعلهم مع النصارىٰ والعلمانيين والليبراليين والملحدين والشيوعيين، فهو علىٰ سبيل الحفاظ علىٰ المناصب والكراسي، علىٰ حساب أي شيء حتىٰ الدين.

فأيُّ القلوب قلوبهم؟! وأيُّ العقول عقولهم؟! فقولوا: إنا سياسيون، ولا تقولوا: إنا إسلاميون، حتىٰ لا تلبِّسوا علىٰ الناس دينهم.

قال الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩].

وإلىٰ الله المشتكىٰ.

***

«البيان الثالث»

«تحريف الكَلِمِ عن مواضعه»
وجُوهُهُ ومعناه

*** معنى التحريف لغة وشرعًا:**

قال ابن فارس في مقاييس اللغة (٢/ ٤٢-٤٣):

«(حرف) الحاء والراء والفاء ثلاثة أصول:... والأصل الثاني: العدول والانحراف عن الشيء، يقال انْحَرَفَ عنه ينحرف انحرافًا، وحرَّفتُه أنا عنه، أي: عدلتُ به عنه؛ ولذلك يقال: مُحَارَفٌ، وذلك إذا حُورِف كَسْبُهُ فَمِيل به عنه، وذلك كتحريف الكلام، وهو عَدْلُه عن جهته، قال الله تعالىٰ: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦]» اهـ.

وقال الفيروز آبادي في القاموس المحيط (١/ ١٢٣):

«والتحريف: التغيير، واحْرَوْرَفَ: مال وعدل، كانحرف وتحرَّف وحارفه بسوءٍ: جازاه» اهـ.

وقال الراغب الأصفهاني: في (المفردات في غريب القرآن) (ص: ١١٤):

«وتحريف الشيء إمالته، كتحريف القلم، وتحريف الكلام أن يجعله علىٰ حرف من الاحتمال يمكن حمله علىٰ الوجهين، قال ﷻ: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦]، و﴿مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ٤١]، ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ [البقرة: ٧٥]» اهـ.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (١/ ١٧٩):

«قال قتادة في قوله: ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥] قال: هم اليهود، كانوا يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه ووعوه.

وقال مجاهد: الذين يحرفونه والذين يكتمونه هم العلماء منهم.

وقال أبو العالية: عمدوا إلىٰ ما أنزل الله في كتابهم من نعت محمد ﷺ فحرَّفوه عن مواضعه.

قال ابن زيد: التوراة التي أنزلها الله عليهم يحرفونها، يجعلون الحلال فيها حرامًا، والحرام فيها حلالًا، والحق فيها باطلًا، والباطل فيها حقًّا؛ إذا جاءهم المحق برشوة أخرجوا له كتاب الله، وإذا جاءهم المبطل برشوة أخرجوا له ذلك الكتاب، فهو فيه محق، وإن جاءهم أحدٌ يسألهم شيئًا ليس فيه حق، ولا رشوة، ولا شيء، أمروه بالحق، فقال الله لهم:

﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]» اهـ.

وقال القرطبي في تفسيره (٢/ ٤):

«قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ قال مجاهد والسُّدِّيُّ: هم علماء اليهود الذين يحرفون التوراة، فيجعلون الحرام حلالًا والحلال حرامًا؛ اتباعًا لأهوائهم، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ أي: عرفوه وعلموه.

وهذا توبيخ لهم؛ أي: أن هؤلاء اليهود قد سلف لآبائهم أفاعيل سوء وعناد، فهؤلاء علىٰ ذلك السَّنن، فكيف تطمعون في إيمانهم!

ودلَّ هذا الكلام أيضًا علىٰ أن العالم بالحق المعاند فيه بعيد من الرشد؛ لأنه علم الوعد والوعيد ولم ينهه ذلك عن عناده» اهـ.

*** وجوه التحريف:**

ولتحريف الكلم عن مواضعه وجوه، أذكر منها علىٰ سبيل المثال:

الوجه الأول: ما ذكره السلف آنفًا من معنىٰ التحريف، من إبدال الكلمات، وتغيير المعاني، ونقض أصول الشِّرْعة، من العدول بالكلام عن معناه إلىٰ معنًىٰ مغاير بالكلية، فيميلون بالتحريم إلىٰ التحليل، والحلال إلىٰ الحرام، وتغيير الحق

إلىٰ الباطل، والعدول بالباطل إلىٰ الحق زورًا وكذبًا وبهتانًا، تارة للهوىٰ، وتارة لشهوة المال، وتارة لمصلحة كبرائهم، كما حرَّف اليهود حدَّ الزاني المحصن في توراتهم من الرجم الذي أقامه عليهم النبي ﷺ إلىٰ غيره.

فقد روىٰ مسلم في صحيحه (١٦٩٩) من حديث ابن عمر: أن رسول الله ﷺ أُتِيَ بيهودي ويهودية قد زَنَيَا، فانطلق رسول الله ﷺ حتىٰ جاء يَهُودَ، فقال: «**ما تجدون في التوراة علىٰ من زنىٰ؟**» قالوا: نُسوِّد وجوههما ونحمِّلهما، ونخالف بين وجوههما، ويُطاف بهما. قال: «**فأتوا بالتوراة إن كنتم صادقين**﴾ فجاءوا بها فقرأوها حتىٰ إذا مرُّوا بآية الرجم، وضع الفتىٰ الذي يقرأ يده علىٰ آية الرجم، وقرأ ما بين يديها وما وراءها، فقال له عبد الله بن سلَّام، وهو مع رسول الله ﷺ: «مُرْهُ فليرفع يده، فرفعها، فإذا تحتها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرُجِما. قال عبد الله بن عمر: كنت فيمن رجمهما، فلقد رأيته يقيها من الحجارة بنفسه».

الوجه الثاني: قطع الآية عن سياقها تعمُّدًا ليتغيَّر المعنىٰ:

ومثاله من أخذ جزءًا من آية فقرأه منفصلًا عن السياق، وهذا من أعظم ما يكون، كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا﴾ [النساء: ١٣٧].

فلو أخذ آخذٌ جزءًا من هذه الآية متعمدًا فقال: (لم يكن الله) فحسب، فقد كفر؛ لأنه جحد وجود الله من قبل، وهذا كفر وإلحاد.

روىٰ البخاري في صحيحه (٧٤١٨) من حديث عمران بن حصين عن النبي ﷺ أنه قال: «**كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه علىٰ الماء، ثم خلق السموات والأرض وكتب في الذكر كل شيء**»، وفي رواية عند البخاري أيضًا (٣١٩١): «**كان الله ولم يكن شيء غيره**».

ومثاله في قطع الآية الكاملة عن سياقها: قوله تعالىٰ: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤ - ٥]، فيأخذ قوله تعالىٰ: ﴿فَوَيۡلٞ

﴿لِّلْمُصَلِّينَ﴾ فقط ويستدل بها.

فهذا قد حرَّف الكلام والمعنىٰ عن المراد الذي أراده الله.

ومثاله أيضًا قوله تعالىٰ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢].

فهذه الآية قد نُزعت عن سياقها علىٰ غرار ما حدث في قوله تعالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾، وذلك لأن الآيات التي بعدها تبيِّن المعنىٰ المقصود، حيث قال تعالىٰ:

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [المائدة: ٨٣ - ٨٦].

فبيَّن ﷻ أن النصارىٰ الذين هم أقرب مودة للذين آمنوا هم الذين لا يستكبرون عن قبول الحق، وإذا سمعوا الحق من رسول الله ﷺ دمعت أعينهم مما عرفوا من الحق في القرآن وآمنوا بالله وبرسوله.

فليس هذا عام في كل نصراني، بل هذا خاص في كل من سمع القرآن من النصارىٰ في كل زمان ومكان فآمن به ولم يستكبر، وأما العام الذي خصص منه هذا، فمثل قوله تعالىٰ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠]، ومثل قوله تعالىٰ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

الوجه الثالث: تحريف المعنىٰ بتغيير طريقة القراءة، سواء بالسكوت في مكان لا يجوز فيه السكوت، أو بالوقوف عند كلمة معينة ليتغير ويتحول ويتحرف المراد والمعنىٰ، أو بهما معًا.

ومثاله ما فعله ذلك القارئ، الذي قرأ قوله تعالىٰ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

والمعنىٰ ظاهر: من أن الله تعالىٰ أمرنا باتباع كتابه وبتقواه، وذلك بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه وزواجره، والوقوف عند حدوده، والتخلق بخلقه وآدابه، وأن هذا سبب الرحمة والبركة، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٧ - ٥٨].

فأتىٰ هذا المحرِّف الضال ليقرأ نفاقًا ومداهنة وشراءً بآيات الله ثمنًا قليلًا فقرأها هكذا: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ ثم سكت ووقف هكذا، ثم عاد فقال: ﴿مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ﴾ فأوهم أن المراد من الآية اتباع مبارك، لا القرآن، فضل وأضل، وغيَّر مراد الله، وحرَّف القرآن، وتشبه باليهود والنصارىٰ.

الوجه الرابع: أن يخرج رجال الدين، ورموز العلم عند العوام، فيتكلموا بكلام ويقرروا حقائق تخالف القرآن والسنة وإجماع المسلمين مخالفة صريحة لا تحتمل التأويل، معارضة لأصل الدين ونصوص القرآن.

وهذا ما يفعله القوم اليوم، فخرجوا علىٰ العوام، يوم أهلك الله رأس الكفر، والتثليث، والدعوة إلىٰ الشرك، ومحاربة الله ورسوله والمسلمين، اجتمع فيه المكر كله والكيد كله؛ ليصد بهما عن سبيل الله وصراطه المستقيم ومقصِدِه القويم، ردًّا للحجة، وهدمًا للمحجة، ونقضًا لعرىٰ التوحيد، واسْتِئصَالًا لأصل

الملة الحنيفية ملة ودين الإسلام، ولا يخفىٰ ذلك من حال هذا الهالك علىٰ المهتمين بالدعوة إلىٰ الله، حتىٰ كتب بعض المعاصرين سيرته وتاريخه في الصد والكيد للإسلام والمسلمين.

*** بيان حرمة الاستغفار لمن مات على الكفر:**

ومع ذلك، فإذا برموز مسلمة تخرج علىٰ العوام لتدعو للهالك الضال بالمغفرة والرحمة وأن يحشره الله مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين!!!

فخالفوا الكتاب والسنة والإجماع، وشاقوا الله ورسوله، وحادُّوا الإسلام والمسلمين، وصدوا عن سبيل الله، ودعوا إلىٰ الكفر، وتثبيت الكافر علىٰ كفره، والمشرك علىٰ شركه؛ فلما يخرج رجال من أكبر هيئة علمية في مصر والعالم العربي ليباركوا الكفر والشرك، يظن النصراني، بل يجزم أنه علىٰ الدين الحق؛ بشهادة من علماء المسلمين!!، وفي هذا صدٌّ عظيم عن الإسلام والحق المبين، وإقرار ضمني بأن دين النصارىٰ هو الحق؛ لأن إمامهم يُرجىٰ له أن يحشر مع النبيين!! لا في الجنة فحسب، بل في الجنان، بَلْهَ الفردوس الأعلىٰ!! قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٤]، الإثم العظيم والضلال البعيد والمحادَّة لله ولرسوله.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٦٧ - ١٦٨]، وقال: ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا﴾ [النساء: ١٣٧].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران: ٩١].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾ [محمد: ٣٤].

فهذه آيات صريحة لا تأويل فيها بأن الله لا يغفر لمن مات علىٰ الكفر ألبتة، قولًا واحدًا بإجماع المسلمين.

قال تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣].

روىٰ البخاري في صحيحه (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤) في كتاب الإيمان من صحيحه، عن سعيد بن المسيب عن أبيه: «أنه أخبره أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، قال رسول الله ﷺ لأبي طالب: «**يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله**» فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب، فلم يزل رسول الله ﷺ يَعْرِضها عليه ويعودان بتلك المقالة، حتىٰ قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو علىٰ ملة عبد المطلب، وأَبَىٰ أن يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «**أما والله لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك**»، فأنزل الله تعالىٰ فيه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣].».

لذلك كانت الآية التي بعد هذه الآية، قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ﴾ [التوبة: ١١٤].

قال القرطبي في تفسيره (٨/ ١٥٧):

«قال أهل المعاني: «ما كان» في القرآن تأتي علىٰ وجهين: علىٰ النفي، نحو قوله: ﴿مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ﴾ [النمل: ٦٠]، ﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٥]، والآخر: بمعنىٰ النهي، كقوله: ﴿وَمَا كَانَ

لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، و﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة: ١١٣]» اهـ.

قلت: وكقوله تعالىٰ: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٧٩]، فإذا جاز للمسلم أن يؤذي النبي، أو أن يدَّعي الألوهية، فله أن يستغفر للمشركين بعد موتهم، وقد انقطع الرجاء بإيمانهم يقينًا.

ذكر القرطبي حديث موت أبي طالب عن تفسير آية التوبة ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ ثم قال:

«الثانية: هذه الآية تضمنت قطع موالاة الكفار حيِّهم وميتهم؛ فإن الله لم يجعل للمؤمنين أن يستغفروا للمشركين؛ فطلبُ الغفران للمشرك مما لا يجوز.

فإن قيل: فقد صح أن النبي ﷺ قال يوم أحد حين كسروا رَبَاعِيَتَه وشجُّوا وجهه: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»(١)، فكيف يجتمع هذا مع منع الله تعالىٰ رسوله والمؤمنين من طلب المغفرة للمشركين؟

قيل له: إن هذا القول من النبي ﷺ علىٰ سبيل الحكاية عمَّن تقدمه من الأنبياء، والدليل عليه ما رواه مسلم عن عبد الله قال: كأني أنظر إلىٰ النبي ﷺ وهو يحكي نبيًّا من الأنبياء ضربه قومه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «**رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»(٢).

وفي البخاري: أن النبي ﷺ ذكر نبيًّا قبله شجَّه قومه فجعل النبي يخبر عنه

---

(١) رواه مسلم (١٧٩١)، ومعنىٰ شجوا وجهه: جرحوه جرحًا شديدًا سال منه الدم، وإنما تُسمَّىٰ الجراحة شجًّا إذا كانت في الوجه أو الرأس. (المصباح المنير: ص: ١٦٥).
ورباعيته: بفتح الراء والباء وكسر العين: وهي السنَّ بين الثنيَّة والناب، وهي أربع: رباعيتان في الفك الأعلىٰ، ورباعيتان في الفك الأسفل. (المعجم الوجيز: ص: ٢٥٢).
(٢) مسلم (١٧٩٢).

بأنه قال: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»[١].

قلت: وهذا صريح في الحكاية عمن قبله، لا أنه قاله ابتداء من نفسه كما ظنه بعضهم... وجواب ثالث: وهو أن الاستغفار للأحياء جائز؛ لأنه مرجوٌّ إيمانُهم، ويمكن تألفهم بالقول الجميل وترغيبهم في الدين.

وقد قال كثير من العلماء: لا بأس أن يدعُوَ الرجل لأبويه الكافرين، ويستغفر لهما ما داما حَيَّيْنِ، فأما من مات فقد انقطع عنه الرجاء فلا يُدعىٰ له.

قال ابن عباس: كانوا يستغفرون لموتاهم فنزلت، فأمسكوا عن الاستغفار، ولم ينههم أن يستغفروا للأحياء حتىٰ يموتوا» اهـ.

وقوله: (فنزلت) أي: آية تحريم الاستغفار.

وظاهر أن المعنيَّ من الاستغفار للأحياء منهم والدعاء لهم، إنما هو بالهداية إلىٰ الحق والإسلام؛ إذ لا وجه للكلام غير ذلك جمعًا بين الأدلة، غير أني أقول:

قال العلامة الفوزان في رسالته (الولاء والبراء في الإسلام) (ص: ١٦):

«١٠- ومن مظاهر موالاة الكفار: الاستغفار لهم والترحم عليهم، وقد حرم الله ذلك بقوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]؛ لأن هذا يتضمن حبهم وتصحيح ما هم عليه» اهـ.

وهذا هو الراجح؛ لعموم الآية التي عمَّت الأحياء منهم والأموات، وليس هناك مخصص خصَّ عموم الآية، ولا مقيِّد قيَّد مطلقها، فَتَصْدُق الآية علىٰ جميع المشركين والكافرين، إحياءً لعقيدة الولاء والبراء، وتنفيذًا وتطبيقًا للحب في الله والبغض في الله، والموالاة في الله والمعاداة في الله.

ذكر الإمام أبو جعفر الطبري في تفسيره أقوال السلف في الآية وفي النهي

---

(١) البخاري في صحيحه (٣٤٧٧).

عن الاستغفار للمشركين، وما كان من إبراهيم في استغفاره لأبيه، وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُۚ﴾ [التوبة: ١١٤].

ثم قال (١٣/ ٥٦):

«وأَوْلىٰ الأقوال في ذلك بالصواب قول الله، وهو خبره عن إبراهيم أنه لما تبيَّن له أن أباه عدوٌّ لله تبرَّأ منه، وذلك حال علمه ويقينه أنه لله عدو، وهو به مشرك، وهو حال ثبوته علىٰ شركه» اهـ. أي: وهو حيٌّ.

وليس أدل علىٰ ثبوت النصارىٰ علىٰ شركهم وكفرهم، من حالهم ومكرهم، وبغضهم المسلمين، وإن قلنا بعموم دعاء النبي ﷺ للكفار كما في غزوة أحد، فإن هذا يُفعل سرًّا كما فعل النبي ﷺ، رغبةً في هدايتهم، ولا يقال أَمَامَهُم، وعلىٰ الملأ، جمعًا بين الأدلة، ولله الأمر من قبل ومن بعد، وإليه المشتكَىٰ والمرجع والمآب.

الوجه الخامس: تحريف سنة رسول الله ﷺ وتغيير ظاهرها بتأويلات مستكرهة مستنكرة لا يدل عليها دليل.

مثال ذلك: ما قالوه في معنىٰ الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه (٤٤٢٥):

عن أبي بكرة الصحابي الجليل رضي الله عنه قال: لقد نفعني الله بكلمة سمعتها من رسول الله ﷺ أيام الجمل بعدما كدت أن ألحق بأصحاب الجمل فأقاتل معهم، قال: لما بلغ رسول الله ﷺ أنَّ أهل فارس قد ملَّكوا عليهم بنت كسرىٰ قال:

«**لن يفلح قومٌ ولَّوْا أمرهم امرأة**» وهذا لفظ عام في كل ولاية، فقيَّده القوم علىٰ صور دون صور.

فهذا الصحابي رضي الله عنه ما نجَّاه إلا هذا الحديث؛ وذلك لما علم أنَّ طلحة

والزبير ومعاوية ولَّوا عليهم عائشة[1]، فاللفظ عام لم يخصصه دليل آخر، فتخصيصه بغير مخصص، وتقييده بغير مقيِّد تحريف للمعنىٰ، وهل هناك ولاية أكبر من أن تنوب عن المسلمين وتتكلم بلسان الملايين عن دائرتها؟ اللهم إلا رئاسة البلاد جميعًا؟!

ومنه تأويل صفات الباري سبحانه عن ظاهرها فلا يثبتون لله ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ، غير أن هذا الوجه أقل في الخطورة والحرمة عن الوجوه الأخرىٰ.

وعليه، فمن فعله متأولًا مجتهدًا وهو يبحث عن الحق فهو مخطئ معذور، وإلا، فلا عذر له.

هذه بعض الوجوه لتحريف الكلم عن مواضعه، وتغيير الملة، ونقض عرىٰ الدين، ومحو رسمه، وطمس معالمه، يقولون: رغبة في تأليف القلوب، وسعيًا لتطبيق الشريعة!!!، أجمعًا بين النقيضين؟! أينال ما عند الله بمعصيته وغير طاعته؟!

قال تعالىٰ لنبيِّه ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢ - ٦٤]. فالله حَسْبُ نبينا ﷺ وحسبنا وحسب المؤمنين أجمعين، ولا تؤلَّفُ القلوب إلا بما أَلَّف الله به قلوب المؤمنين من الصحابة رضي الله عنهم، وهو التمسك بكل عروة من عرىٰ الإسلام؛ فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته، ولا يتصور للأمة عزٌّ ولا رفعة إلا بالوسائل الشرعية التي أحلها الله ورسوله ﷺ، وفعلها السلف الصالح، رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) وقد فصَّلت القول في المسألة في كتابي: (من يضرب خيشومها؟).

* التقعيد الأصولي العقدي الجامع لما قيل في هذا البيان:

(١) القاعدة الأولى:

«تحريف الكَلِم من الكتاب والسنة عن مواضعه، هو الميل والعدول والانحراف به عن مراد الله ورسوله إلىٰ ما يوافق الأهواء، وهو محادَّة ومشاقة لله ولرسوله وللمسلمين أجمعين ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]».

(٢) القاعدة الثانية:

«كُلُّ من حرَّف الكَلِمَ عن مواضعه في دين الله عالمًا قاصدًا، بأي وجه من وجوه التحريف، بتغيير الكلام ابتداءً، أو بتبديل المعاني أصلًا بتقرير ما خالف الكتاب والسنة وإجماع المسلمين، أو بطريقة القراءة للقرآن بما يُوَصِّل معنىٰ يضاد الآيات، عامدًا متعمدًا، فقد كفر بالله العظيم».

(٣) القاعدة الثالثة:

«الاستغفار للكافرين، والترحُّم عليهم حرام علىٰ المسلمين؛ لأنه من مظاهر الموالاة، والحب في غير الله، لاسيما بعد موتهم؛ لانقطاع علَّة الاستغفار، وهي الرغبة في هدايتهم ورجاء إسلامهم».

(٤) القاعدة الرابعة:

«من كان يريد العزَّة فإن العزَّة لله جميعًا، وما عند الله لا ينال إلا بطاعته، فمن ابتغىٰ العزَّة عند من أذله الله وأمر بإذلاله، ما زاده الله إلا خسَّة وذلًّا».

قال تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾ [فاطر: ١٠]

وقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

وقال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ

﴿ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩].

(٥) القاعدة الخامسة:

«من صرف لفظ الكتاب والسنة عن ظاهره بغير دليل متأوِّلًا مجتهدًا باحثًا عن الحق غير متجانف لإثم، ومتعمِّد للمخالفة، فمخطئٌ معذور بجهله».

وقد ذكرت هذه القاعدة الخامسة حتىٰ لا تنزل القواعد هنا مطلقًا علىٰ أي أحدٍ كذبًا عليَّ، أو تتبعًا للمتشابه ابتغاء الفتنة، مع أني قد قيَّدت القواعد هنا بالعلم والتعمد حتىٰ لا يستدرك عليها، والحمد لله رب العالمين.

***

«البيان الرابع»

«الولاء والبراء أوثق عرى الإيمان»

*** معنى الولاء والبراء لغة وشرعًا:**

معنىٰ الولاء والبراء لغة:

قال ابن فارس في مقاييس اللغة (٦/ ١٤١ - ١٤٢):

(ولي) الواو واللام والياء: أصل صحيح يدلُّ علىٰ قرب، من ذلك الوَلْيُ: القُرْبُ، يقال: تباعد بعد وَلْي، أي: قُرْب، وجلس مما يليني، أي: يقاربني.

ومن الباب: المولىٰ: المُعْتِق والمُعْتَقُ، والصاحب والحليف وابن العم والناصر والجار؛ كل هؤلاء من الوَلْي، وهو القرب.

وكل من وليَ أمرَ آخر فهو وليُّه، والولاء: الموالون، يقال: هؤلاء ولاءُ فلان.

والولاء أيضًا: ولاء المعتق، وهو أن يكون ولاؤه لمُعْتِقِه، كأنَّه يكون أوْلىٰ به في الإرث من غيره، إذا لم يكن للمُعْتِق وارث نَسَب، والباب كله راجع إلىٰ القرب» اهـ.

وقال الفيروزآبادي في القاموس المحيط (٤/ ٣٩٣ - ٣٩٤):

«الوَلْي: القرب والدنو، والوَليُّ الاسم منه والمحب والصديق والنصير، ووَلِيَ الشيء وعليه وِلاية وَوَلاية، أو هي المصدر بالكسر: الخطَّة والإمارة والسلطان.

وأوْليته الأمر ولَّيْتُه إيَّاه، والولاء المِلْكُ، والمَوْلَىٰ المالك والعبد والمعتِق والمعتَق والصاحب والقريب كابن العم ونحوه، والجار والحليف و الابن والعم والنزيل والشريك وابن الأخت والوَليُّ والناصر والمُنْعِم والمُنْعَمُ عليه والمحب والتابع والصِّهْرُ وتولَّاه اتخذه وليًّا، والأمر تقلّده، والقوم علىٰ ولاية واحدة، ودارُهُ وَلْيُ داري قريبة منها، وأوْلىٰ علىٰ اليتيم أوصىٰ، والىٰ بين الأمرين موالاة وولاء تابع» اهـ.

هذا في معنىٰ الولاء.

أما معنىٰ البراء:

قال ابن فارس في مقاييس اللغة (١/ ٢٣٦):

«(برأ): فأما الباء والراء والهمزة فأصلان إليهما ترجع فروع الباب:

أحدهما الخَلْق،... والأصل الآخر: التباعد من الشيء ومزايلته، من ذلك البُرْءُ، وهو السلامة من السقم [(١)]، يقال: برئت وبرأت، ومن ذلك قولهم: برئت إليك من حقك. وأهل الحجاز يقولون: أنا براء منك، وغيرهم يقول: أنا بريء منك، قال الله تعالىٰ في لغة أهل الحجاز: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦] وفي غير موضع من القرآن ﴿أَنِّي بَرِيٓءٌ﴾ [هود: ٥٤].

ومن ذلك البراء من العيب والمكروه» اهـ.

وقال الراغب الأصفهاني في المفردات في غريب القرآن (ص: ٤٥):

«(برأ): أصل البُرْء والبراء والتبرِّي: التغصِّي مما يكره مجاورته، ولذلك قيل: برأت من المرض وبرأت من فلان، وتبرَّأت وأبرأته من كذا، وبَرَأْتُهُ، ورجل بريء، وقوم بُرَآء وبريئون، قال ﷻ: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ [التوبة: ١] وقال: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ [التوبة: ٣]، وقال: ﴿أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١]، ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الممتحنة: ٤]. ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ﴾ [الأحزاب: ٦٩]، وقال: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ [البقرة: ١٦٦]» اهـ.

*** معنى الولاء والبراء شرعًا:**

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ

---

(١) ومن أعظم الأسقام والأمراض الولاء والبراء لغير الله ورسوله والمؤمنين.

خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [الممتحنة: ١ - ٤].

قال ابن كثير في تفسيره (٨/ ٥٥ - ٥٦):

«فقوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ يعني: المشركين والكفار الذين هم محاربون لله ولرسوله وللمؤمنين، الذين شرع الله عداوتهم ومُصارمتهم، ونهىٰ أن يُتخذوا أولياء وأصدقاء وأخلاء كما قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥٧]، وهذا تهديد شديد، ووعيد أكيد، وقال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٧]، وقال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٤٤]، وقال تعالىٰ: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

وقوله: ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ﴾ هذا مع ما قبله من التهييج علىٰ عداوتهم وعدم موالاتهم؛ لأنهم أخرجوا الرسول والصحابة من بين أظهرهم؛ كراهة لما هم عليه من التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده؛ ولهذا قال: ﴿أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ أي: لم يكن لكم عندهم ذنب إلا إيمانكم بالله رب العالمين، كقوله: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨]، وقوله: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ

﴿إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾، وقوله: ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى﴾ [الممتحنة: ١] أي: إن كنتم كذلك فلا تتخذوهم أولياء، إن كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي باغين لمرضاتي عنكم فلا توالوا أعدائي وأعداءكم، وقد أخرجوكم من دياركم وأموالكم حنقًا عليكم وسخطًا لدينكم، لو قدروا عليكم لما اتقوا فيكم من أذىٰ ينالونكم به بالمقال والفعال، ﴿وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الممتحنة: ٢] أي: ويحرصون علىٰ ألا تنالوا خيرًا، فهم عداوتهم لكم كامنة وظاهرة، فكيف توالون مثل هؤلاء؟ وهذا تهييج علىٰ عداوتهم أيضًا.

يقول تعالىٰ لعباده المؤمنين الذين أمرهم بمصارمة الكافرين وعداوتهم ومجانبتهم والتبري منهم: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ﴾ [الممتحنة: ٤] أي: تبرأنا منكم، ﴿وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ أي: بدينكم وطريقكم، ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا﴾ يعني: وقد شُرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم، ما دمتم علىٰ كفركم، فنحن أبدًا نتبرأ منكم ونبغضكم، ﴿حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ﴾ أي: إلىٰ أن توحدوا الله وتعبدوه وحده لا شريك له، وتخلعوا ما تعبدون معه من الأنداد والأوثان» اهـ.

قال القرطبي في تفسريه (١٨/ ٤٣):

«﴿حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ﴾ فحينئذ تنقلب المعاداة موالاة» اهـ.

وقال القرطبي أيضًا في تفسيره (٦/ ١٢٨):

«قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة: ٥١]، وهذا يدل علىٰ قطع الموالاة شرعًا» اهـ.

قال القرطبي في جامعه (٤/ ٥٤):

«قوله تعالىٰ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨] قال ابن عباس: نهىٰ الله المؤمنين أن يلاطفوا الكفار فيتخذوهم أولياء، ومثله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٨]،

وهناك يأتي بيان هذا المعنىٰ، ومعنىٰ ﴿فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ أي: فليس من حزب الله ولا من أوليائه في شيء» اهـ.

ثم فصَّل القول بعد ذلك فقال: (٤/ ١٣٧ وما بعدها):

«قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨]: أكد الله تعالىٰ الزَّجر عن الرُّكون إلىٰ الكفار، وهو متصل بما سبق من قوله: ﴿إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠]، وبطانة الرجل خاصته الذين يستبطنون أمره.

نهىٰ الله ﷻ المؤمنين بهذه الآية أن يتخذوا من الكفار واليهود وأهل الأهواء دُخلاء وَوُلَجَاء، يفاوضونهم في الآراء، ويسندون إليهم أمورهم، ويقال: كل من كان علىٰ خلاف مذهبك ودينك فلا ينبغي لك أن تحادثه.

ثم بيَّن تعالىٰ المعنىٰ الذي لأجله نهىٰ عن المواصلة، فقال: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ يقول: فسادًا، يعني: لا يتركون الجهد في فسادكم، يعني أنهم وإن لم يقاتلوكم في الظاهر فإنهم لا يتركون الجهد في المكر والخديعة.

ورُوي أن أبا موسىٰ الأشعري استكتب ذميًّا فكتب إليه عمر يعنِّفه وتلا عليه هذه الآية.

وقَدِم أبو موسىٰ الأشعري علىٰ عمر رضي الله عنهما بحساب فرفعه إلىٰ عمر فأعجبه، وجاء عمر كتابٌ فقال لأبي موسىٰ: (أين كاتبك يقرأ هذا الكتاب علىٰ الناس؟ فقال: إنه لا يدخل المسجد، فقال: لِمَ؟! أجُنُبٌ هو؟ قال: إنه نصراني؛ فانتهره وقال: لا تُدْنِهم وقد أقصاهم الله، ولا تكرمهم وقد أهانهم الله، ولا تأمنهم وقد خوَّنهم الله).

﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: ودُّوا عنتكم: أي: ما يشق عليكم، والعنت: المشقة.

﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ يعني: ظهرت العداوة والتكذيب لكم من

أفواههم، والبغضاء: البغض، وهو ضد الحب، وخصَّ تعالىٰ الأفواه بالذكر دون الألسنة؛ إشارة إلىٰ تشدقهم وثرثرتهم في أقوالهم هذه، فهم فوق المتستر الذي تبدو البغضاء من عينيه أكثر مما يظهرون بأفواههم، ﴿هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ﴾ [آل عمران: ١١٩]» اهـ.

وقال العلامة السعدي في تفسيره (ص: ١٢٧) عند آية آل عمران: (٢٨):

«وهذا نهي من الله تعالىٰ للمؤمنين عن موالاة الكافرين بالمحبة والنصرة والاستعانة بهم علىٰ أمر من أمور المسلمين، وتوعد علىٰ ذلك فقال: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨]، أي: فقد انقطع عن الله، وليس له في دين الله نصيب؛ لأن موالاة الكافرين لا تجتمع مع الإيمان؛ لأن الإيمان يأمر بمولاة الله وموالاة أوليائه المؤمنين المتعاونين علىٰ إقامة دين الله وجهاد أعدائه، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ [التوبة: ٧١]، فمن والىٰ الكافرين من دون المؤمنين الذين يريدون أن يطفئوا نور الله ويفتنوا أولياءه خرج من حزب المؤمنين وصار من حزب الكافرين، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ [المائدة: ٥١] وفي هذه الآية دليل علىٰ الابتعاد عن الكفار وعن معاشرتهم وصداقتهم،والميل إليهم، والركون إليهم، وأنه لا يجوز أن يُولَّىٰ كافرٌ ولاية من ولايات المسلمين، ولا يُستعان به علىٰ الأمور التي هي مصالح لعموم المسلمين، ثم قال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ﴾ [آل عمران: ٢٨]، أي: فلا تتعرضوا لسخطه بارتكاب معاصيه فيعاقبكم علىٰ ذلك» اهـ.

ثم قال السعدي في تفسيره عند سورة المائدة (الآية: ٥١):

«يرشد تعالىٰ عباده المؤمنين حين بيَّن لهم أحوال اليهود والنصارىٰ وصفاتهم غير الحسنة ألا يتخذوهم أولياء، فإن بعضهم أولياء بعض يتناصرون فيما بينهم ولا يكونون يدًا علىٰ مَنْ سواهم، فأنتم لا تتخذوهم أولياء؛ فإنهم الأعداء علىٰ الحقيقة، ولا يبالون بضرّكم، بل لا يدخرون من مجهودهم شيئًا

علىٰ إضلالكم، فلا يتولاهم إلَّا من هو مثلهم؛ ولهذا قال: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾؛ لأن التولي التام يوجب الانتقال إلىٰ دينهم، والتولي القليل يدعو إلىٰ الكثير، ثم يتدرج شيئًا فشيئًا، حتىٰ يكون العبد منهم»[1] اهـ.

وقال العلامة الفوزان في رسالته (الولاء والبراء في الإسلام) (ص: ٣ - ٦):

«فمن أصول العقيدة الإسلامية أنه يجب علىٰ كل مسلم يدين بهذه العقيدة أن يوالي أهلها ويعادي أعداءها، فيحب أهل التوحيد والإخلاص ويواليهم، ويبغض أهل الإشراك ويعاديهم، وذلك من ملة إبراهيم والذين معه، الذين أمرنا بالاقتداء بهم... بل قد حرَّم الله علىٰ المؤمن من موالاة الكفار ولو كانوا من أقرب الناس إليه نسبًا، قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [التوبة: ٢٣] وقال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقد جهل كثير من الناس هذا الأصل العظيم حتىٰ لقد سمعت بعض المنتسبين إلىٰ العلم والدعوة في إذاعة عربية يقول عن النصارىٰ: إنهم إخواننا، ويالها من كلمة خطيرة[2].

وكما أن الله سبحانه حرَّم موالاة الكفار أعداء العقيدة الإسلامية، فقد أوجب سبحانه موالاة المؤمنين ومحبتهم، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

---

(١) هناك مسألة هامة، من الجدير بالذكر أن تُبَيَّن وتُذكر، وهي: ما يفعله بعض طلبة العلم، من النقل عن أهل العلم، أو عن كتب غير مشهورة علىٰ لسان نفسه، من غير عزو للقول إلىٰ قائله، وهذه خيانة علمية قد وجدتها في كثير من التصانيف، وهي تأتي بنقيض القصد؛ بل قد يدخل هذا الأمر تحت باب الكذب، والتدليس، وعاقبته عظيمة، أقلها: فَقْدُ الثقة في الرجل ووصفه بأنه سارق لمجهود غيره، وهذا كافٍ في هدمه أمام الآخرين، فليحذر من يفعل ذلك.

(٢) قد صيَّرها القوم إلىٰ واجب وطني!!! تأليفًا للقلوب!! وجمعًا للكافر والملحد المسلم تحت راية واحدة!!! وهدمًا لأصل الدين والشِّرْعة!!!

ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥ - ٥٦].

وقال تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

فالمؤمنون إخوة في الدين والعقيدة وإن تباعدت أنسابهم وأوطانهم وأزمانهم، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

فالمؤمنون من أول الخليقة إلىٰ آخرها مهما تباعدت أوطانهم وامتدت أزمانهم إخوة متحابون يقتدي آخرهم بأولهم، ويدعو بعضهم لبعض، ويستغفر بعضهم لبعض» اهـ.

وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [القصص: ٨٦].

قال القرطبي في تفسيره (١٣/ ٢٤١): «أي: عونًا لهم ومساعدًا» اهـ.

وقال ابن كثير (٦/ ١١٤): «أي: معينًا، ولكن فارقهم ونابذهم وخالفهم» اهـ.

وقال الطبري في تفسيره (٢٢/ ١٢٦): «ولا تكونن عونًا لمن كفر بربك علىٰ كفره به» اهـ.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٨١] فنعوذ بالله من الفسق والفاسقين.

روىٰ الإمام أحمد في مسنده (١٨٤٣٣) وأبو داود في سننه (٤٦٥٢، ٤٥٨٩)، والطيالسي في مسنده (٧٨٣) وابن أبي شيبة (٣٠٤٢٠)، والبيهقي في الشعب (١٣، ١٤)، والطبراني في الكبير (١١٥٣٧) من حديث البراء بن عازب

عن النبي ﷺ قال:

«**أوثق عرىٰ الإيمان الحب في الله والبغض في الله**» وفي سنده ليث بن أبي سليم وهو ضعيف، ويشهد له طرقه المذكورة، وكذلك رواه الترمذي في سننه (٢٥٢١) وقال: «حديث حسن» وفي بعض النسخ: «حديث منكر»، قال المباركفوري في التحفة (٦/ ٣٨٨): «ولم يظهر لي وجه كون الحديث منكرًا!!»، وكذلك رواه الحاكم في المستدرك (٢٦٩٤)، وقال: «هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي في التلخيص، قال: «علىٰ شرط البخاري ومسلم» بلفظ: «**من أعطىٰ لله ومنع لله وأحب لله وأبغض لله وأنكح لله فقد استكمل الإيمان**». وذكره السيوطي في الجامع الصغير (٢٧٧٨).

قال المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير (٣/ ٩٢):

«(أوثق عرىٰ الإيمان): أي: أقواها أو أثبتها أو أحكمها، جمع «عروة»، وهي في الأصل ما يعلق به نحو دلو أو كوز فاستعير لما يتمسك به من أمر الدين، ويتعلق به شعب الإيمان.

والعروة ما تُشد به العباءة ونحوها يتداخل بعضها في بعض دخولًا لا ينفصم بعضه من بعض إلا بفصم طرفه، فإذا انفصمت منه عروة انفصم جميعه.

وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس؛ حتىٰ يتصور السامع كأنه ينظر إليه بعينه فيحكم اعتقاده والتيقن به.

(الموالاة): أي: التحابب والمعاونة (في الله) أي: فيما يرضيه (والمعاداة في الله) أي: فيما يبغضه ويكرهه (والحب في الله والبغض في الله ﷻ) قال مجاهد عن ابن عمر: فإنك لا تنال الولاية إلا بذلك، ولا تجد طعم الإيمان حتىٰ تكون كذلك.

ومن البغض في الله بغض كثير ممن ينسب نفسه للعلم في زمننا؛ لما أشرق عليهم من مظاهر النفاق وبغضهم لأهل الخير، فيتعين علىٰ من سَلِمَ قلبه من

المرض أن يبغضهم في الله» اهـ!!!.

وقوله: (فيتعيَّن) أي: فرض عين علىٰ المسلمين أن يبغضوهم في الله.

قلت: فما أشبه الليلة بالبارحة!!!

كذلك روىٰ البخاري في صحيحه (٦٩٤١، ١٦) ومسلم (٤٣) من حديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «**ثلاث من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار**». وهذا الحديث يشهد لحديث: «**أوثق عرىٰ الإيمان**».

كذلك روىٰ البخاري في صحيحه (١٥) عن أنس عن النبي ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**» وفي رواية (١٤): «**فوالذي نفسي بيده لا يؤمن...**» الحديث.

*** تصنيف الناس في الولاء والبراء:**

يقول العلامة الفوزان في رسالته (الولاء والبراء) (ص: ٢٧ وما بعدها):

«الناس في الولاء والبراء علىٰ ثلاثة أقسام:

القسم الأول: وهم المؤمنون الخُلَّصُ من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، وفي مقدمتهم رسول الله ﷺ، فإنه تجب محبته أعظم من محبة النفس والولد والوالد والناس أجمعين، ثم زوجاته أمهات المؤمنين وأهل بيته الطيبين وبقية العشرة والمهاجرين، والأنصار وأهل بدر وأهل بيعة الرضوان، ثم بقيَّة الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

ثم التابعون والقرون المفضلة وسلف هذه الأمة وأئمتها، كالأئمة الأربعة، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

ولا يبغض الصحابة وسلف هذه الأمة من في قلبه إيمان، وإنَّما يبغضهم أهل الزيغ والنفاق وأعداء الإسلام كالرافضة والخوارج، نسأل الله العافية.

القسم الثاني: من يُبغَضُ ويُعادَىٰ بغضًا ومعاداة خالصيْن لا محبة ولا موالاة معهما، وهم الكفار الخُلَّص من الكفار والمشركين والمنافقين والمرتدين والملحدين علىٰ اختلاف أجناسهم(١) كما قال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقال تعالىٰ عائبًا علىٰ بني إسرائيل: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٨٠ - ٨١].

القسم الثالث: من يُحَبُّ من وجه ويُبغَض من وجه، فيجتمع فيه المحبة والعداوة وهم عصاة المؤمنين، يُحَبُّون لما فيهم من الإيمان، ويُبغضون لما فيهم من المعصية التي هي دون الكفر والشرك، ومحبتهم تقتضي مناصحتهم والإنكار عليهم، فلا يجوز السكوت علىٰ معاصيهم، بل يُنكر عليهم ويُؤمرون بالمعروف، ويُنهون عن المنكر، وتُقام عليهم الحدود والتعزيرات حتىٰ يكفوا عن معاصيهم ويتوبوا من سيئاتهم، لكن لا يبغضون بغضًا خالصًا ويُتبرأ منهم كما تقوله الخوارج في مرتكب الكبيرة التي هي دون الشرك، ولا يُحَبُّون ويوالون حبًّا وموالاة خالصَيْن كما تقول المرجئة، بل يُعتدل في شأنهم علىٰ ما ذكرنا كما هو في مذهب أهل السنة والجماعة. والحب في الله والبغض في الله أوثق عرىٰ

---

(١) والسؤال: هل النصارىٰ كفار أو غير كفار؟! لسان حال القوم يقول: ليسوا كفارًا!! ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦].

الإيمان، والمرء مع من أحب يوم القيامة كما في الحديث[١].

*** (وقد صار الولاء والبراء لأجل الدنيا):**

وقد تغير الوضع وصار غالب موالاة الناس ومعاداتهم لأجل الدنيا، فمن كان عنده طمع من مطامع الدنيا والوه، وإن كان عدوًّا لله ولرسوله ولدين المسلمين، ومن لم يكن عنده طمع من مطامع الدنيا عادوه، ولو كان وليًّا لله ولرسوله، عند أدنىٰ سبب ضايقوه واحتقروه، وقد قال عبد الله ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (من أحب في الله وأبغض في الله ووالىٰ في الله وعادىٰ في الله، فإنما تُنال ولاية الله بذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس علىٰ أمر الدنيا وذلك لا يُجدي علىٰ أهله شيئًا). رواه ابن جرير.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالىٰ قال: من عادىٰ لي وليًّا فقد آذنته بالحرب**» الحديث رواه البخاري[٢].

وأشد الناس محاربة لله من عادىٰ أصحاب رسول الله ﷺ وسبَّهم وتنقصهم، وقد قال ﷺ: «**الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضًا، فمن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذىٰ الله، ومن آذىٰ الله يوشك أن يأخذه**» أخرجه الترمذي[٣] وغيره.

وقد صارت معاداة الصحابة وسبهم دينًا وعقيدة عند بعض الطوائف الضالة، نعُوذ بالله من غضبه وأليم عقابه، ونسأله العفو والعافية» اهـ.

لقد كان من ثمار عمل القوم: أن يهجر الناس من قال بكفر النصارىٰ ويعادوه

---

(١) وهو ما رواه مسلم في صحيحه (٢٦٤٠) عن عبد الله قال: جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف ترىٰ في رجل أحب قومًا ولمَّا يلحق بهم؟ قال رسول الله ﷺ: «**المرء مع من أحب**».

(٢) البخاري في صحيحه (٦٥٠٢).

(٣) رواه الترمذي في سننه (٣٨٦٢)، وقال: (هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه)، وروىٰ قبله (٣٨٦١) قوله ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي**»، قال: (حديث حسن صحيح)، ورواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١).

ويصفوه بالتشدد، وهذا مؤشر خطير جدًّا، يشير إلىٰ ما بعده، فلربما كفَّروا من قال بذلك، وهذا بعينه هو مسخ الشريعة، وذهاب الملة، ولا يجرُّ علىٰ فاعله، إلا الحسرة والذل والوبال العظيم.

*** التقعيد الأصولي العقدي الجامع لما قيل في هذا البيان:**

وذلك علىٰ ضوء ما مرَّ من الأدلة في هذا البيان:

(١) القاعدة الأولى:

«أوثق عرىٰ الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله، والحب في الله والبغض في الله، من أعطىٰ لله ومنع لله، وأحب لله وأبغض لله، وأنكح لله، فقد استكمل الإيمان».

(٢) القاعدة الثانية:

«لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء، ولا من حزبه؛ بل إنه منهم، إلَّا يفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير مستشرٍ عريضٌ».

(٣) القاعدة الثالثة:

«المؤمنون بعضهم أولياء بعض، والكافرون بعضهم أولياء بعض، ولن يرضىٰ الكافرون عن المؤمنين حتىٰ يتبعوا ملتهم، ودّوا لو يكفرون كما كفروا فيكونون سواء، قد بَدَتِ البغضاء من أفواههم وما تُخفي صدورهم أكبر، وما يعقلها إلا العالمون».

(٤) القاعدة الرابعة:

«إنما قول المؤمنين للكافرين: إنَّا برآء منكم وممَّا تعبدون من دون الله، كفرنا بكم، وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا، حتىٰ تؤمنوا بالله وحده، لا ندنيكم وقد أقصاكم الله، ولا نكرمكم وقد أهانكم الله، ولا نأمنكم وقد خوَّنكم الله، ولكن لا نظلمكم ولا نجور عليكم في أدنىٰ حق من حقوقكم، هذه

عقيدة أهل السنة والجماعة».

(٥) القاعدة الخامسة:

«الناس في الولاء والبراء علىٰ ثلاثة أقسام: المؤمنون الخلَّص، فهؤلاء نحبهم ونواليهم، ونكره ونبغض من أبغضهم.

والكفار الخلَّص بمللهم وطوائفهم والمنافقون، فهؤلاء لهم مِنَّا البغض الخالص والمعاداة الصافية من شوب المحبة.

وعصاة الموحدين، فهؤلاء يُحَبُّون من وجه إيمانهم ويُبغضون من وجه معاصيهم التي هي دون الكفر، ولهم علينا المناصحة والإنكار حتىٰ يُرْشدوا».

***

«خاتمة البحث»

وفيها

جملة القواعد الأصولية العقدية

التي قام عليها البحث

أما هذه الخاتمة، فإني أذكر فيها بإذن الله تعالىٰ ما قعَّدته من القواعد بعد كل بيان من البيانات الأربعة، والتي هي بمثابة التلخيص المجمل لما فصلته في هذا البحث، فمن وقف عليها حصَّل خلاصة هذه الرسالة، وهي ثمان عشرة قاعدة استدللت لها بالكتاب والسنة والإجماع.

ق (١): «العهد والميثاق الذي أخذه الله علىٰ عباده: الالتزام بالسمع والطاعة، الذي هو امتثال الأمر، واجتناب النهي، والوقوف عند حدود الله، الأمانة التي حملها الإنسان».

ق (٢): «الوفاء بالعهود والمواثيق مع الله تعالىٰ واجب علىٰ العباد وجوبًا عينيًّا علىٰ كل أحد».

ق (٣): «نقض العهود والمواثيق خيانة لله وللرسول، وهو حرام بالكتاب والسنة والإجماع».

ق (٤): «إنما تَهْلِكُ هذه الأمة من قِبَل نقض مواثيقها».

ق (٥): «من كتم علمًا مما ينفع الله به الناس من أمر الدين، فقد نقض عهده وميثاقه، وخان الله ورسوله والمؤمنين؛ إذ لا يجوز تأخير الإيضاح والبيان عن وقت الحاجة؛ فإن السكوت علىٰ تغيير شرائع الدين، نسخ ومسخ لشريعة رب العالمين».

ق (٦): «النصارىٰ كفَّارٌ، مخلَّدون في النار أبدًا، إذا ماتوا علىٰ كفرهم، وهو ممَّا عُلِمَ من الدين بالضرورة، بدليل الكتاب و السنة وإجماع السلف والخلف،

لا خلاف في ذلك ألبتة، إلا عند أهل الزيغ والضلال».

ق (٧): «من لم يُكفِّر من كفَّره الله ورسولُه من اليهود والنصارىٰ وغيرهم، فهو كافر، ومن شك في كفره فهو كافر، ومن توقَّف في كفره فهو كافر، وذلك بالكتاب والسنة والإجماع سلفًا وخلفًا».

ق (٨): «الأصل بقاء ما كان من كفر الكافر، مثل النصراني واليهودي علىٰ ما كان، فلا يُقال: لَعَلَّهُ أسلم قبل موته، فهذا مردود بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين، إذ اليقين لا يزول بالشك والظن، وكفرُهُ يقين، واحتمال إسلامه ظن ضعيف لا أصله له».

ق (٩): «تحريف الكَلِم من الكتاب والسنة عن مواضعه، هو الميل والعدول والانحراف به عن مراد الله ورسوله إلىٰ ما يوافق الأهواء، وهو محادَّة ومشاقة لله ولرسوله وللمسلمين أجمعين ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]».

ق (١٠): «كُلُّ من حرَّف الكَلِمَ عن مواضعه في دين الله، عالمًا قاصدًا، بأي وجه من وجوه التحريف، بتغيير الكلام ابتداءً، أو بتبديل المعاني أصلًا بتقرير ما خالف الكتاب والسنة وإجماع المسلمين، أو بطريقة القراءة للقرآن بما يُوَصِّل معنىٰ يضاد الآيات، عامدًا متعمدًا، فقد كفر بالله العظيم».

ق (١١): «الاستغفار للكافرين، والترحُّم عليهم حرام علىٰ المسلمين؛ لأنه من مظاهر الموالاة، والحب في غير الله لاسيما بعد موتهم؛ لانقطاع علَّة الاستغفار، وهي الرغبة في هدايتهم ورجاء إسلامهم».

ق (١٢): «من كان يريد العزَّة فإن العزَّة لله جميعًا، وما عند الله لا ينال إلا بطاعته، فمن ابتغىٰ العزَّة عند من أذله الله وأمر بإذلاله، ما زاده الله إلا خسَّةً وذلًّا».

ق (١٣): «من صرف لفظ الكتاب والسنة عن ظاهره بغير دليل متأوِّلًا

مجتهدًا باحثًا عن الحق غير متجانف لإثم، ومتعمِّد للمخالفة، فمخطئٌ معذور بجهله».

ق (١٤): «أوثق عرىٰ الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله، والحب في الله والبغض في الله، ومن أعطىٰ لله ومنع لله، وأحب لله وأبغض لله، وأنكح لله، فقد استكمل الإيمان».

ق (١٥): «لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء، ولا من حزبه؛ بل إنه منهم، إلَّا يفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير مستشرٍ عريضٌ».

ق (١٦): «المؤمنون بعضهم أولياء بعض، والكافرون بعضهم أولياء بعض، ولن يرضىٰ الكافرون عن المؤمنين حتىٰ يتبعوا ملتهم، ودّوا لو يكفرون كما كفروا فيكونون سواء، قد بَدَتِ البغضاء من أفواههم وما تُخفي صدورهم أكبر، وما يعقلها إلا العالمون».

ق (١٧): «إنما قول المؤمنين للكافرين: إنَّا برآء منكم وممَّا تعبدون من دون الله، كفرنا بكم، وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا، حتىٰ تؤمنوا بالله وحده، لا ندنيكم وقد أقصاكم الله، ولا نكرمكم وقد أهانكم الله، ولا نأمنكم وقد خوَّنكم الله، ولكن لا نظلمكم ولا نجور عليكم في أدنىٰ حق من حقوقكم، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة».

ق (١٨): «الناس في الولاء والبراء علىٰ ثلاثة أقسام: المؤمنون الخلَّص، فهؤلاء نحبهم ونواليهم، ونكره ونبغض من أبغضهم.

والكفار الخلَّص بمللهم وطوائفهم والمنافقون، فهؤلاء لهم مِنَّا البغض الخالص والمعاداة الصافية من شوب المحبة.

وعصاة الموحدين، فهؤلاء يُحَبُّون من وجه إيمانهم ويُبغضون من وجه معاصيهم التي هي دون الكفر، ولهم علينا المناصحة والإنكار حتىٰ يُرْشدوا».

هذه طائفة من القواعد الأصولية العقدية، تُظهر عقيدة أهل السنة والجماعة، منهاج النبوة، فيما أردت بيانه؛ معذرةً إلىٰ الله ﷻ عمَّا خاض فيه الخائضون، وتلفظ به المنافقون، وسرقه السرَّاقون من معتقد المسلمين، عَمَّا دَلَّسَهُ المدلسون، وكذبه المكذبون، وسكت عليه الدعاة الساكتون، الذين هم علىٰ جماهيريَّتهم خائفون، ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤]، فإنه إذا وصل الأمر بالمسلمين إلىٰ أنَّ أصول الدين والإسلام، تقبل الجدال والنقاش، فإن هذا هو الفساد والهلاك العظيم المستطير، ومن ثمَّ، لوسكت العلماء والدعاة علىٰ ذلك، فقد أوشك الله أن يزلزل البلاد والعباد، ويسلط عليهم من يسومهم سوء العذاب، من إخوان القردة والخنازير ومن شايعهم؛ رحمة ورأفة بالعباد حتىٰ يعودوا إلىٰ ربهم، ودينهم، ويرجعوا إلىٰ سنة نبيهم ﷺ قال تعالىٰ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠].

ولله الأمر من قبل ومن بعد، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتب

أبو عبد الرحمن

عيد بن أبي السعود الكيَّال

وكان الانتهاء منه ليلة الخميس

٦/ جماد أول/ ١٤٣٣ هـ

الموافق ٢٩/ ٣/ ٢٠١٢م

عزبة الهجانة، م. نصر، القاهرة

فهرس الكتاب

* **توطئة**: وما زال التمزيق لعرىٰ الدين العريق ٣
موطن الداء والشر ٤
المقدمة ٩
خطة البحث، وأنه يقوم علىٰ أربعة بيانات..... ١٠
* **البيان الأول**: نقض العهود المواثيق خيانة لله ولرسوله وللمسلمين ١٠
معنىٰ العهد والميثاق في اللغة والشرع ١١
الميثاق العام الذي أخذه الله من بني آدم..... ١١
العهد والميثاق الذي أوثقنا وقيدنا الله به، وأحكم به تصرفاتنا ١٢
الميثاق الخاص بعلماء الأمة..... ١٢
العهد والميثاق هو العقد المعقود بين الله وخلقه بتحقيق العبودية والتوحيد ١٣
لا يجوز لأهل العلم أن يؤخروا البيان عن وقت الحاجة؛ حتىٰ لا تنقض
عرىٰ الشريعة..... ١٥
قول المفسرين في معنىٰ آية الميثاق الخاص بالعلماء: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ ١٧
التقعيد الأصولي العقدي الجامع لما قيل في هذا البيان، وتحته خمس
قواعد ١٩
* **البيان الثاني**: تبيين المبيَّن، وتفسير المفسَّر، وتفصيل المفصَّل، وإظهار

الظاهر، وتوضيح الواضح: أن النصارىٰ كفار مخلدون في النار أبدًا، إذا لم يُسلموا ٢٠
الدليل من الكتاب ٢١
الدليل من السنة ٢٤
الدليل من الإجماع ٢٥
قول بعض الناس: لعلّه أسلم قبل أن يموت!! والردّ عليه..... ٢٦
التقعيد الأصولي العقدي الملخص لما قيل في هذا البيان، وتحته ثلاث قواعد ٢٨
* **البيان الثالث**: تحريف الكلم عن مواضعه وجوهه ومعناه ٣٠
معنىٰ التحريف لغة وشرعًا ٣٠
وجوه التحريف..... ٣١
بيان حرمة الاستغفار لمن مات علىٰ الكفر ٣٥
التقعيد الأصولي العقدي الجامع لما قيل في هذا البيان، وتحته خمس قواعد ٤١
* **البيان الرابع**: الولاء والبراء أوثق عرىٰ الإيمان ٤٣
معنىٰ الولاء والبراء لغة وشرعًا ٤٣
تصنيف الناس في الولاء والبراء ٥٢
وقد صار الولاء والبراء لأجل الدنيا..... ٥٤
التقعيد الأصولي العقدي الجامع لما قيل في هذا البيان وتحته خمس قواعد ٥٥

* **خاتمة البحث، وفيها**: جملة القواعد الأصولية العقدية التي قام عليها البحث وهي ثمان عشرة قاعدة ٥٧

فهرس الكتاب..... ٦١

* * *